



كلية التربية للعلوم الانسانية
College of Education for Human Sciences

ISSN: ١٨١٧-٦٧٩٨ (Print)

Journal of Tikrit University for Humanities

JTUH
مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية
Journal of Tikrit University for Humanities

available online at: <http://www.jtuh.com>

Pilgrimage and its persuasive energy in prose

ABSTRACT

Dr. Hassan Ismail Khalaf^١

M. Rawia Abdullah
Mohammed^١

^١ the department of Arabic language
College of Education
University of Tikrit
Tikrit, Iraq

Keywords:

The concept of pilgrims in language and terminology
Tactical strategy
Search margins

Pilgrims are one of the most advanced modern sciences, which works with many tools to convince the other. one of the most important used Pilgrim tools and powerful ways in which the arguments . In view of the importance of the prose.

Prose as linguistic, intellectual and literary wealth, The study sought to reveal its pilgrim characteristics by renewing the pilgrimage stairs and its persuasive energy, in which he organized his sermons and commands. Which is a fertile ground for any modern study. It is also a confirmation of the heritage of the pilgrims and an extension of the roots of the ancient heritage.

© ٢٠١٨ JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: <http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.25.2018.05>

ARTICLE INFO

Article history:

Received ١٠ jun. ٢٠١٧
Accepted ٢٢ January ٢٠١٧
Available online ٠٥ xxx ٢٠١٧

السُّلم الحجاجي وطاقته الإقناعية في النثر الجاهلي

أ.م.د حسن إسماعيل خلف/جامعة تكريت/كلية التربية
م.م راوية عبدالله محمد / جامعة تكريت / كلية التربية

الخلاصة

يعد الحجاج من العلوم الحديثة المتطورة الذي يعمل بعدة أدوات على إقناع الأخر، وقد بات معروفاً في التصورات الحجاجية أن - السلم الحجاجي . من أهم الأدوات المستعملة ، والسبل القوية التي يتوصل بها المحاجج، لأقناع المُحاجج. ونظراً لأهمية النثر الجاهلي بكونه ثروة لغوية وفكرية وأدبية فقد نهجت الدراسة الكشف عن خصائص الحجاجية بتحديد السلام الحجاجية وطاقته الإقناعية التي نُظمت بها خطبة ووصاياه ، وهي دراسة جامعة بين القديم والحديث تقوم على خدمة النصوص بمستوياتها المتعددة إثباتاً لتجدها بتجدد النظريات فهي أرضية خصبة لأي دراسة حديثة ، كما إنها إقراراً بعراقة الحجاج وإمتداداً لجذوره في القديم الموروث .

المقدمة

* Corresponding author: E-mail : adxxxx@tu.edu.iq

يعد الحجاج من الموضوعات القديمة المتجددة التي تستمد قوتها من قدرة الناص على إيصال فكرته الى المتلقي ، إذ يعد تقنية قديمة وظفها الاقدمون لخدمة نصوصهم الخطابية فضلاً عن كونه تقنية حديثة حظيت بعناية الدراسات الأدبية الحديثة اعتماداً على التطور الحاصل في الدراسات النقدية الحديثة ، ولأهمية هذه النظرية إرتأينا دراستها في النصوص النثرية الجاهلية (الخطب والوصايا) من خلال ترتيبها اللغوي ضمن السلال الحجاجية ، لإثبات جذور هذه النظرية في النثر القديم ، فضلاً عن محاولة الكشف عن قدرة الفرد العربي في عصر ما قبل الإسلام في إنتاج نص متماسك وفق نسق منظم من الجزئيات اللغوية مرتبة تصاعدياً قصد الإستمالة و الإقناع .

فقسنا البحث حسب الطبيعة الموضوعية الى تمهيد ومحورين فضمننا التمهيد مفهوم الحجاج ، وعناصر الحجاج المرسل والمرسل إليه ثم علاقة الحجاج بفني الخطابة والوصية . أما المحور الاول فشمّل السلم الحجاجي مفهومه وقوانينه ثم أهمية السلم الحجاجي ، كما تضمن المحور الثاني أمثلة تطبيقية في النصوص النثرية فالخاتمة وأهم ما توصل إليه البحث من نتائج ثم قائمة المصادر والمراجع.

رموز البحث : (ح . حجة) . (ن . نتيجة) (لا . ن) . (نتيجة مضادة ل ن)

اولاً: مفهوم الحجاج في اللغة والاصطلاح:

لقد تقاربت المفاهيم اللغوية لمعنى الحجاج فقد جاء بمعنى الجدل والبرهان اللذان يعتمدهم الباط للاستدلال والإقناع إذ حده ابن سيده بقوله : ((حاجته أحاجه حجاجاً ومُحاججاً من حججته بأحجج التي أدلّيتُ بها والحجة البرهان))^(١) . وقد تبعه ابن منظور في ذلك بقوله : ((أنا حاججته فانا مُحاجه وحجيجة : اي مغالبه باظهار الحجة التي تعني الدليل والبرهان))^(٢).

أما في الاصطلاح فقد تشعبت مفاهيمه وفقاً لإختلاف وجهات نظر منظرية في الدراسات الغربية والعربية إذ جعله بيرلمان وتيتيكاه عملية التقنن في تركيب خطاب واع يتضمن تقنيات إقناعية تدفع الازهان الى التسليم بما يعرض عليها من طروحات^(٣) . أو هو كامن في اللغة ذاتها حسب مفهوم اوكسمبر وديكرو .^(٤) كما عده مايير : ((دراسة العلاقة بين ظاهر الكلا وضمنيه))^(٥) . رابطاً بينه وبين قضية المسائلة

أما الدارسين العرب فلم يغفلوا هذا العلم إنما أولوه عناية فقد عرفه طه عبد الرحمن بأنه فعالية تداوليه جدليه ، لأنه يقوم على معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفيه ، تهدف الى الإقناع القائم على الصور الاستدلالية في نطاق أوسع من البنيات البرهانية الضيقة^(٦) .

وهناك من عده أليه توظيف اللغة وفق سياق هادف للاقناع والاستمالة^(٧) .

فالحجاج تقنية تركيبية للمفردات اللغوية وفق سياق حوارى منظم ومدعم بالادلة والبراهين التي يبثها المرسل الى المتلقي هادفاً بها الإقناع والاستمالة .

ثانياً: الاستراتيجية الخطابية :

يقوم الخطاب الحجاجي بين عنصرين رئيسيين هما المرسل والمرسل إليه ، ويشترط في الخطاب الحجاجي أن يكون مستمداً من الخبرات والمعارف المشتركة بين الطرفين وتكمن نجاعته في قدرته على إقحام عالم المتلقي وتقييده وفق إستراتيجية الخطاب^(٨) ، وهي المسلك المنظم الذي يتبعه المرسل لتوجيه خطابه الوجهة التي تعينه على تحقيق أهدافه بتوظيفه للعلامات اللغوية وغير اللغوية تبعاً لما يقتضيه سياق التعبير بعناصره المتنوعة^(٩) .

وبذلك يكون الباط هو مصدر إنتاج الخطاب ضمن غرض معين ،بكونه المسؤول عن نجاح أو فشل العلاقة الحجاجية أما المرسل إليه فلا يعدو دوره عن تأويل الخطاب والإقناع به أو رفضه.

ثالثاً : الحجاج وفني الخطابة والوصية

لمعرفة العلاقة بين الحجاج وفني الخطابة والوصية لابد من توضيح مفهوم كل منهما وتوضيح الغاية منه بكونه فن

أدبي نثري قديم .

فالخطابة هي فن إقناع الجمهور وإستمالته^(١٠). أو هي صناعة يمكن بسببها إقناع الجمهور^(١١). فهي فن الإقناع والاستمالة ، لأن القدرة على النظر في كل ما يؤدي إلى الإقناع أساس هذا الفن^(١٢). فبذلك تكون الخطبة فنّ حجاجي هدفه التأثير والإقناع بأي أمر كان تحقيقاً لأهداف الناص أو الخطيب.

أما الوصية فهي نوع من أنواع الادب غايته التوجيه والارشاد يعبر به عن خلاصة تجارب الحياة بحكمة ونظرة ثاقبة دعوة لإكتساب المحامد ، أو التبصير بحسن السياسة^(١٣).

والوصية فنّ أدبي جاهلي إعتى بها العرب منذ عصر ما قبل الإسلام بترتيب مفاصلها وأدائها إذ لم تختلف كثيراً عن خطبهم لإمن حيث النمط الشكلي^(١٤). فقد كانت في بعض صورها لون من الخطب ، لما بينهما من تشابه في مواجهة المخاطبين بالقول والقصد فيها الى الإقناع^(١٥).

فالخطابة والوصية فنان نثران متمثلان في الاستراتيجية إذ يتكون كلّ منهما من نص خطابي يلقيه الباث للمتلقى قاصداً منه التأثير والإقناع ، فيتقنان في ذلك مع غاية الحجاج وهدفه في التأثير والإستمالة لإرجاح رأي ما عن طريق الوصول إلى عقل المتلقي وتغيير أفكاره وإشراكه في عملية التأويل ، وبهذا يمثلان فنان حجاجيان توظف فيهما جميع الامكانيات اللغوية وغير اللغوية لتحقيق القصد في الإقناع.

المحور الأول

مفهوم السلم الحجاجي وخصائصه:

هو مجموعة من الحجج المتنامية تصاعدياً بحيث تكون كل حجة أقوى من سابقتها لتحقيق غاية يسعى لها المتكلم^(١٦). أو هو علاقة ترتيبية للحجج في فئة حجاجية موجهة^(١٧).

أي إنه: ((مجموعة غير فارغة من الاقوال مزود بعلاقة ترتيبية))^(١٨).

وقد تم تسميته بالتراتب وهو عبارة عن ترتيب للتعبير والملفوظات الحجاجية بحسب القوة والضعف^(١٩).

فالسلم الحجاجي عملية ترتيبية للحجج من الأضعف إلى الأقوى في فئة حجاجية موجهة لدعم نتيجة ما أو دحضها^(٢٠).

ويتميز السلم الحجاجي بطبيعته المتدرجة من الأصغر الى الأكبر أو من الأضعف الى الأقوى بما يشبه النمو، ما يحدو بنا أن نسميه بالتنامي الحجاجي : وهو تنامياً نصياً للحجج المكونة للنص مقرونا بتلازم حجاجي في إطار موضوع موحد ضمن البنية النصية سعياً لخدمة قضية ما أو دحضها .

و يرتبط السلم الحجاجي بمعنى آخر وهو الوجهة أو الاتجاه الحجاجي ومعناه أن أي قول يمكنه إنشاء فعل حجاجي ، فإن قيمته تحدد بواسطة الإتجاه الحجاجي ويكون صريحاً أو مضمراً^(٢١).

ويكون ترتيب الحجج وفق درجات السلم تابعا لرغبة المتكلم أو أناصر بهدف إرجاح ما يروم إليه ، زيادة على أن تكوين السلم الحجاجية يشترط فيها إقرار التلازم بإضافة الحجة إلى النتيجة سواء أكانت هذه النتيجة مصرح بها أم ضمنية^(٢٢)، وذلك لأن إضافة الحجة الى النتيجة يكون تسلسلاً حجاجياً مرتباً يساعد المتكلم على إقناع المخاطب. وللسلم الحجاجي خصيصتان تابعتان من طبيعته التكوينية هما:

أ- ان كل قول يقع في مرتبة من مراتب السلم يكون دليلاً على مدلول معين ، وأي قول يعلوه يكون دليلاً أقوى منه بالنسبة ل

(ن) .

ب- كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه جميع مايقع تحته ، فاذا كان القول (ب) يؤدي الى النتيجة (ن) فان (ج) أو

(د) الذي يعلوه يؤدي إليها كذلك^(٢٣) .

قوانين السلم الحجاجي :

السلم الحجاجي بمعناه الاجمالي ترتيب منظم للحجج التي تتصاعد عمودياً لتخدم نتيجة محددة ، إذ يشترك الترتيب والتلازم

في تكوينه زيادة على كونه يخضع لقوانين تحدد طبيعته الحجاجية وعمله في النص الحجاجي وهي ثلاثة قوانين :

أ-قانون النفي أو قانون تبديل السلم : يتضمن هذا القانون إنه إذا كان القول يؤدي الى نتيجة معينة ، فان نقيض القول

يؤدي الى نتيجة مضادة للنتيجة الاولى^(٢٤) ، أي مناقضة لها والحجاج يكون مقبولاً في كلا النتيجتين المتناقضتين

ويمثل ذلك قولنا :

ب- زيد مجتهد ، لقد نجح في الامتحان .

ت- زيد ليس مجتهداً ، إنه لم ينجح في الامتحان .^(٢٥) ففي المثال الاول الحجة أو القول أ- زيد مجتهد دليلاً على نجاحه وهو قول مقبول ، وفي المثال الثاني (أ) زيد ليس مجتهداً دليلاً على رسوبه وهو قول مناقض للقول الاول ، وكلا النتيجةين مقبولتان فهما تقعان ضمن قانون النفي .

٢- قانون القلب :

يرتبط هذا القانون بالنفي ، ويشتمل هذا القانون على أن السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس سلم الأقوال المثبتة، فإذا كان أحد الأقوال المثبتة أقوى في التدليل على نتيجة معينة (ن) ، يكون نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على النتيجة المضادة (لان) في الكلام المنفي .

فإن (أ) أقوى من (أ) في التدليل على (ن) ويكون (أ~) المناقض ل(أ) أقوى في التدليل على (لان) .^(٢٦) ويتمثل ذلك في المثالين التاليين :

١. حصل زيد على الدكتوراه بل حصل على الماجستير .

٢. لم يحصل زيد على الدكتوراه، بل لم يحصل على الماجستير .

فإن حصول زيد على الدكتوراه دليلاً قوياً على مكانته العلمية ونكائه، أما عدم حصوله على الماجستير دليلاً أقوى من عدم حصوله على الدكتوراه على تأخره وتدني مرتبة العلمية وسنوضح ذلك في المخططين التاليين:

١.

ن	كفاءته العلمية ونكائه
١	حصل على الدكتوراه (أ)
٢	حصل زيد على الماجستير (أ)

٢.

لان	عدم كفاءته العلمية وتدني نكائه
١	لم يحصل زيد على الدكتوراه (أ~)
٢	لم يحصل زيد على الماجستير (أ~)

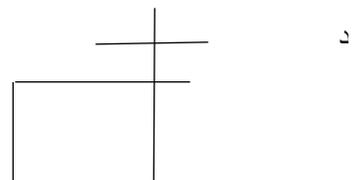
فنلاحظ أن الحجة الأقوى في السلم رقم (١) جاءت في أعلى السلم مرتبة وهي حصول زيد على الدكتوراه في الإثبات ، أما الحجة الأقوى في السلم رقم (٢) قد جاءت في أسفل السلم درجة وهي نقيض الاولى ؛ لأن عدم حصوله على الماجستير دليلاً قوياً على تدني نكائه وهو أقوى من عدم حصوله على الدكتوراه، فحصوله عليها مرهون بحصوله على الماجستير هذا ما منح الحجة (أ~) قوة حجاجية ضمن وجودها في السلم الحجاجي المنفي .

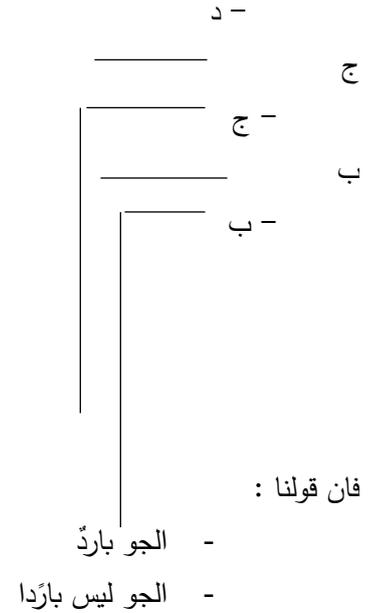
٣. قانون الخفض :

ينص هذا القانون على أن القولين المتقابلين لا يصدقان في مرتبة واحدة من السلم الحجاجي بل يصدق أحدهما في مرتبة ويصدق الثاني في مرتبة أخرى تقع تحتها في السلم .^(٢٧)

ويوضح ذلك الشكل التالي^(٢٨)

ن





في إثبات البرد ونفيه لا يمكن أن يندرجان في مرتبة حجاجية واحدة وإن صدقنا بل تقع الاولى في مرتبة وتقع الثانية في المرتبة التي تليها. (٢٩)

- أهمية السلم الحجاجي :

تكمن أهمية السلم الحجاجي في إرتكاز عمله على حيك تسلسل الحجج في نسق حجاجي محكم ما يساعد على تحقيق القضية المطروحة أو دحضها ، هذا ما يُضفي إليه دوراً ريادياً في سياق النص الحجاجي ، زيادة على توجيهه للقول وتحديد قيمته ضمن قسم حجاجي يقوم على قوة وضعف مكوناته بالنسبة الى نتيجة ما ، فالسلم الحجاجي بتركيزه المتدرج والموجه للاقوال ، يوضح أن القول لا يتحدد بصدقه أو كذبه ، وإنما يكون الحكم عليه على أساس القوة والضعف مستنداً على طابع التدرج وليس إستناداً للصدق والكذب. (٣٠)

فالاقوال المرتبة ضمن سلمية حجاجية؛ سواء أكانت صادقة أم كاذبة لا تخدم النتيجة المرجوة إلا بقوتها الحجاجية ، لذلك يعد السلم ضرورة حجاجية لتدرجه في ترتيب الجزينات اللغوية للنص مُرتباً الحُجج تصاعدياً من الأضعف الى الأقوى ليمنح النص رصانة حجاجية ، ويُمكن الأقوال من السامع فيحقق الهدف المرجو منها.

المحور الثاني

أمثلة تطبيقية لبنية السلاسل الحجاجية بمفرداتها اللغوية في النثر الجاهلي (خطبه ووصاياها) :

إن للسلاسل الحجاجية أو التنامي الحجاجي أهمية كبيرة في تكوين النص الرصين ما يزوده بالطاقة النصية العالية في الاستحواذ على ذهن المخاطب وتحقيق النتيجة المحددة ، فقد تكونت الخطب والوصايا الجاهلية من مجاميع حجاجية قد تكون في سلم حجاجي واحد من بداية النص الى نهايته ليشد المتلقي إليه وليكون بؤرة حجاجية يُرى من خلالها هدف النص وهي النتيجة الموحدة لكافة حجج النص ويمثل ذلك مقال مرثد الخير^(٣١) مُصلحاً بين سبيع بن الحارث^(٣٢) وميثم بن مثوب^(٣٣) : ((إن التخبُّطَ وإمطاءَ الهجاجِ ، وإستحقابَ اللجاجِ ، سيقفُكمُ على شفا هوةٍ في توردها بوارِ الأصليةِ ، وإنقطاعِ الوسيلةِ ، فتلاقيا أمرُكمُ قبلَ إنتكاثِ العهدِ ، وإنحلالِ العقدِ ، وتشتُّتِ الألفَةِ ، وتباينِ السهمةِ ، وأنتما في فُسحةٍ رافهةِ ، وقَدَمِ وأطدةِ ، والمودَّةِ مُثريةِ ، والبقيا مُعرضةِ...))^(٣٤).

جاءت خطبة مرثد الخير في نسق حجاجي متفاوت قوةً وضعفاً ليقنع المتخاصمين بتلافي شر الحرب فيجعل خطبته عبارة عن مجموعة من السلاسل الحجاجية التي تسعى الى هدفٍ حجاجي واحد وهو إخماد نار الحرب . وسنبين هذه السلاسل بمخططات سلمية حجاجية لتتضح أهمية ورودها في الخطب لاسيما سل الضغائن والاحقاد :

.١

ن-إخماد نار الحرب	
ج	إستحقاب اللجاج
ب	إمتطاء الهجاج
أ	إن التخبیط

يبين السلم الحجاجي رقم (١) أن مرثد قد بدأ خطبته بسلم حجاجي مُرتباً حُجته من الأضعف الى الأقوى ليستميل المخاطبين ويُهدء نفوسهم ما يقعد بهم عن غمار الحرب فبدأ بالتخبیط ، ثم أتبعه بامتطاء الهجاج وإستحقاب اللجاج أذ بنى تنامياً حجاجياً من التخبیط منتقلاً الى الامتطاء ثم الاستحقاب أي من أصغر الأمور الى أعظمها وأكثرها تأثيراً في إشعال الحرب بين الطرفين .
ولا يختلف السلم الحجاجي رقم (٢) عن السلم رقم (١) في تناميه تصاعدياً وترتيبه للحجج في فئة حجاجية واحدة جاعلاً القوة والضعف المحوران اللذان يحققان الغاية المرجوة للحجج ويتضح ذلك في الرسم التالي :

.٢

ن-إخماد نار الحرب	
د	تباين السهمة
ج	تشتت الألفة
ب	إنحلال العقد
أ	إنتكاث العهد

فقد جاءت الحجة الأقوى والأكثر تأثيراً في نهاية السلم بينما إستقرت الحجة الأضعف في المرتبة الأولى من السلم ضمن ترتيبه التصاعدي ليُحكم الكلام ، ويقوي نسجه ما يكون سلمية حجاجية تجعل من النص دالة حجاجية متكاملة بروابطها وسلاسلها الحجاجية ، وإذا مضينا قُدماً في إستقراء خطبة مرثد الخير نجد إنها في أكملها تنامياً حجاجياً في بنية نصية واحدة ومن ذلك قوله في منتصف خطبته ناصحاً: ((فقد عزفتُم أنباءً من كان قبلكُم من العرب ، ممن عصى النصيح ، وخالف الرشيد ، وأصغى الى التقاطع ،...)) (٣٥).

إن للسلم الحجاجي خاصية تدرجية في تنظيمه الكلام وترتيبه ، لما يضيفي عليه من تنامي نصي، كما إنه يحكم النص لما يفرضه على صانع النص من تقولب نصي في إختيار كلماته وتنسيق جملة والربط بينهما ، إذ أن بناء خطبة مرثد وفق سلمية حجاجية وألية تنظيم راقية وكأنه كان مُتقناً لشروط السلم الحجاجي وعلى دراية كاملة باهميته في النص الخطابي ، وهذا خير دليل على معرفة العرب الجاهلين أهل الفصاحة والبيان بما يضيفيه تدرج الكلام من إستمالة للمخاطب وإقناعه بالقضية المطروحة فطبيعة السلم الحجاجي تَسخُبُ ذهنَ المُخاطبِ شيئاً فشيئاً حتى تُمكن الكلام منه وتُوقِعُ أثراً في نفسه ؛ لذلك تكونت خطبة مرثد من مجموعة سلالم حجاجية في بُنية سلمية وكأنها سلم واحد لنتيجة واحدة فقوله خاتماً خطبته : ((... فتلاقوا الفرحَةَ قبل تفاقمِ النَّأيِ وإستفحالِ الداءِ ، وإعوازِ الدواءِ ، فإنه إذا سُفِكَتِ الدماءُ ، إستحكمتُ الشحناءُ ، وإذا إستحكمتُ الشحناءُ ، تقبصنتُ عُرى الإبقاءِ ، وشَمَلُ البلاءِ ...)) (٣٦).

إذ ختم مرثد خطبته بكلام متماسك لغوياً موظفاً عدة روابط حجاجية ساوق بها الحُجج كالواو والفاء ليضمن إستمرارية الكلام ويقوي حُجته ما يُعْزِي سلمة بقوة حجاجية مُناسبة لخاتمة الخطبة فشمولُ البلاءِ ليس له دافع وهو أقوى حُجة سلمية في الخطبة ، فنلاحظ أن الخطبة مجموعة حُجج كل حُجة تقع في مرتبة من مراتب سلم حجاجي ضمن فئة حجاجية واحدة وكل سلم من هذه السلالم يُمكن أن يُكون حُجة في سلم الخطبة العام ، فاقوى سلم أجز الخطبة لاتفاقه كخاتمة ما يخدم الهدف الذي يقصده الخطيب وأضعفها حجاجياً في بداية الخطبة فقد تدرجت السلالم متنامية تلبية لحاجة الخطيب في إقناع المتخاصمين خدمة للنتيجة الموحدة

في إخماد نار الحرب أو كما أسميناها بالبؤرة الحجاجية .

فالسلم الحجاجي السلاح الإقناعي الذي يعمل به الناص على توجيه نصه الوجهة الهادفة للإقناع سواء أكان الكلام موجهاً الى أفراد أم الى جماعات وقد إتضح ذلك في خطبة مرثد الخير وهدفه الاصلاحى كما يتجلى ذلك في خطاب الجماعات وإقناعها على الرغم من إختلاف وجهات نظرهم وأفكارهم في خطبة هانى بن قبيصة الشيباني^(٣٧) قائلاً: ((يا معشر بكرٍ هالكٌ معذورٌ من ناجٍ فرور، إن الحذر لا يُنجي من القدر، وإن الصبر من أسباب الظفر، والمنيةُ والادنية، إستقبالُ الموتِ خيرٌ من إستدباره، الطعنُ في ثغرِ النحرِ أكرم منه في الإعجاز والظهور، يا آل بكرٍ قاتلوا فما للمنايا من بد))^(٣٨).

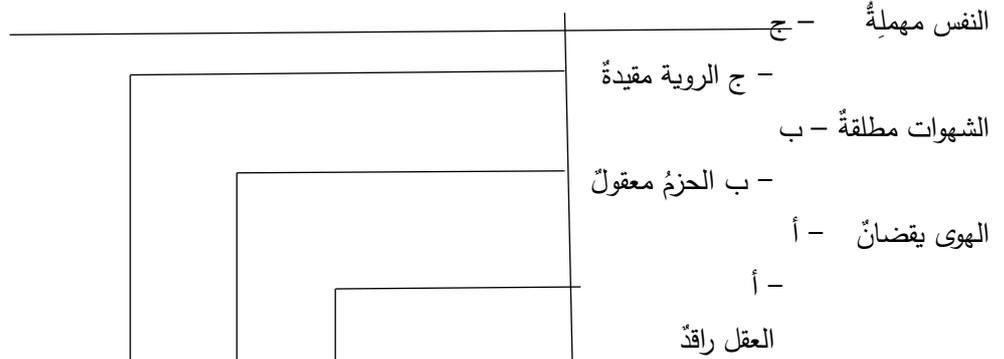
إن بناء الخطبة وفق سُلمية إقناعية تداخلت فيها عدة مستويات لتتناسب غايتها الحماسية في بعث روح التفاعل في نفوس المتلقين لإثارة حماسهم وإقناعهم في خوض غمار الحرب دون تراجع فنظمها هانى بتدرج سلمى موظفاً حججه تبعاً لوقعها النفسي إذ بدأ بدرجات مقارنة بقوله: (هالكٌ معذورٌ خير من ناجٍ فرور) فدرجات المقارنة بخاصيتها في وضع الفوارق بين الاشياء جعلت المُخاطب بين أمرين فضّل أحدهما على الآخر ، فالهالكُ مع العُذرِ خيرٌ من النجاةِ والفرارِ إذ بهما بصمةُ عارٍ لايمحي آثارها غبار الزمن ثم ينتقل الباث بخطبته الى درجة أخرى من سُلمه الحجاجي مدعماً ذلك بمفارقة طباقية صانعة لجاذبية فعالة يسحر بها المتلقي عن طريق التأثير الروحي المولد للأنسجام والقبول^(٣٩) . وذلك بين ألفاظ (المنية . الدنية) متبعاً ذلك بمقارنة حجاجية محدثة لمفارقة إقناعية يدعن لها المتلقي خاتماً خطبته بأمر محتّم وهو أن الموت أت لامحالة ليقوي عزمهم بألفاظ حماسية منسوجة وفق حجج منظمة تنظيماً سليماً يتناسب وغاية الخطيب في الإقناع والإثارة على خوض غمار المعركة . وإن للسلم الحجاجي خاصية إقناعية ينفرد بها عن بقية التقنيات الحجاجية الأخرى؛ لذلك نظم العرب مفاخراتهم وفقه مهما اختلف مقام المتلقي ويتمثل ذلك في خطبة الحارث بن عباد^(٤٠) أمام كسرى مُفاخراً بعروبته وقبيلته قائلاً: ((... والعربُ تعلمُ أني أبعثُ الحربَ قدماً ، وأحسبها وهي تُصرفُ حتى إذا جاشتْ نازها وسُعرثْ لظاها ، جعلتْ مقادها رمحي ، وبرقها سيفي ، ورعدُها زئيري ، ولم أقصر عن خوض خضاضها حتى أنغمسُ في غمراتٍ لُججها...))^(٤١) فقد عمد الحارث الى سُلمية مساوقةً للحجج بوجود الرابط الحجاجي حتى وخاصيته الحجاجية في مساوقة الحجج وتقويتها للنتيجة^(٤٢) ، ما شحن النص بطاقة إقناعية مناسبة لمقام كسرى على الرغم من قوة معانية في المفارقة أو المباهاة .

وأن أي كلام يوجهه المتكلم الى السامع يكون هدفه الإقناع حتى في الحياة اليومية ؛ لذلك يستوجب القول تدرجاً من الأسهل الى الأصب أو الأضعف الى الكلام الأقوى تركيباً لغوياً ، والأكثر إيحاءً دلاليّاً والأحكم نسجاً صورياً ليكون أجزاً ما يقع في ذهن السامع فيتترك وقعا في نفسه كما إن النفس البشرية لا تركز للقوة والصعوبة في بداية القول بل تتأفره وتجانس الليونة والسلاسة ، وبما إن هدف أي كلام هو الإقناع فان الخطب والوصايا هي كذلك إقناعية بطبيعتها ، فتمثلت بها السلالِم الحجاجية خير تمثيل ومن ذلك في الوصايا قول أكتّم بن صيفي^(٤٣) موصياً لبني تميم : ((... الهوى يقضان ، والعقلُ راقِد ، والشهواتُ مطلقةٌ ، الحُرْمُ معقولٌ ، والنفسُ مهملةٌ ، والرويةُ مقيدةٌ...))^(٤٤) .

لقد رتب أكتّم مفاصل وصيته وفق سُلم حجاجي قارناً الحُجج مع نقائضها ضمن قانون الخفض الذي حدده طه عبد الرحمن : بانه القولين المتقابلين لا يصدقان في مرتبة واحدة من السلم بل يصدق أحدهما في مرتبة ويصدق الثاني في مرتبة أخرى دونها من السلم^(٤٥) .

وسنوضح ذلك في رسم السلم الحجاجي لهذه الوصية لنبين كيفية ترتيب السلم وفق هذا القانون .

ن ضبط النفس عن الخطأ والزلل



لقد ترتبت حُجَج السُّلم وفقاً لتناميها الحجاجي من الأضعف إلى الأقوى في درجات متفاوتة فكل قول إحتل مرتبة من السُّلم فاحتل القول الذي يقابله درجة دونها من السُّلم نفسه حيث لا يصح أن يقعان في مرتبة واحدة ضمن قوانين السُّلم الحجاجي. وتعد الوصايا ميدانا فسيحا لتطبيق السُّلم الحجاجي وترتيب محتوياته ؛ وذلك لحاجة الوصايا إلى ذلك التدرج بطبيعتها فاقناع الموصى بمضمون الوصية يستلزم تنظيم الكلام ليحقق الهدف الذي يريده الموصي ، فقد تمثلت فيها أغلب قوانين السُّلم الحجاجي كما مثلنا لقانون الخفض ، وكذلك قانوني النفي والقلب المرتبطان قد تمثلتا فيها ومن ذلك وصية الحارث بن كعب^(٤٦) لبنيه قائلا : (يا بنيَّ عليكم بهذا المال ، فاطلبوه أجملَ الطلبِ ، ثمَّ إصرفوه في أجملِ مذهب ، فصلوا به الارحامَ ، وإصطنعوا منه الأقوامَ ، واجعلوه جنة لأعراضكم تحسن في الناسِ قالتكم ، فان بذله تمامَ الشرفِ ، وثباتُ المروءة ، وإنه ليسودُ غير السيدِ ، ويؤيدُ غير الايدِ ، حتى يكون عند الناسِ نبيلاً نبيهاً ، وفي أعينهم مهيباً ، ومن إكتسب مالا فلم يصل به رحماً ، ولم يعط منه سائلاً ، ولم يرضُ به عرضاً ، بحث الناسُ عن أصله فان كان مدخولاً الزموه دنية وأكسبوه عرقاً لئماً حتى يُهجنوه به))^(٤٧) .

نلاحظ إن الحجج التي وردت في الوصية تمثل سلمان الاول في حسن التصرف بالمال ليكون نعمة عليهم وسنوضح ذلك في المخطط التالي :

ن حسن التصرف بالمال يكسب الذكر الحسن	
ش	وفي أعينهم مهيباً
س	حتى يكون عند الناس نبيلاً نبيهاً
ز	يؤيد غير الايد
ر	إنه ليسود غير السيد
ذ	وثبات المروءة
د	فان بذله تمام الشرف
خ	واجعلوه منه جنة لأعراضكم تحسن في الناس قالتكم

ح	وإصطنعوا منه الأقوام
ج	فصلوا به الأرحام
ب	ثم إصرفوه أجمل مذهب
أ	عليكم بهذا المال فاطلبوه أجمل الطلب

يمثل هذا المخطط الجانب الايجابي من الوصية وهو السلم المثبت الذي يخدم النتيجة (ن) وهي حسن التصرف بالمال لكسب الذكر الحسن ، أما السلم رقم (٢) فيمثل الجانب المضاد للسلم رقم (١) فيخدم النتيجة (لا-ن) وهي سوء التصرف بالمال يُكسب السمعة السيئة ويتضح ذلك في السلم الحجاجي التالي:

- المخطط رقم (٢) ويمثل السلم المنفي

لا-ن	سوء التصرف بالمال يكسب السمعة السيئة
ر	حتى يهجنوه به
ذ	وأكسبوه عرقاً لنئماً
د	وإن لم يكن مدخولاً الزمونه
خ	فان كان مدخولاً هرتوه وهتكوه
ح	بحث الناس عن أصله
ج	ولم يصن به عرضاً
ب	ولم يُعط منه سائلاً
أ	من إكتسب مالاً ولم يصل به رحماً

فالسلم رقم (١) هو السلم المثبت وأقوى حُجَّجُهُ في أعلاه حسب قانون القلب ، أما السلم رقم (٢) فهو السلم المضاد للسلم رقم (١) وأقوى حُجَّة تكون في بدايته ما يصنع تضاداً في الوصية ليعطيها خصوصية لدى المُوصى ما يلزمه مضمونها تحقيقاً لرغبة المُوصي .

والسلم الحجاجي بما يتحقق فيه من الشمول لأجزاء الكلام فقد وظف العرب فيه تقنيات حجاجية مختلفة ونلاحظ ذلك في وصية يزيد ذو الكلاع^(٤٨) لأبناء عشيرته وأبنائه قائلاً : ((معشر الجماعة من ولدي ، وإخوتي وبني عمي ، لو كان المُلْكُ يدوم لأحدٍ ، لدام للأسلافكم ،الذين ملكوا البلاد ، فأحسنوا السيرة في أهلها ، أخذوا للضعيف من القوي، وأمتوا السبل ، وأذلوا الجبابرة ، وأبادوا المُفسدين...))^(٤٩) فالنتيجة المنسوجة بأسلوب الشرط ((لوكان الملك يدوم لأحد)) دُعمت بعدة حُجج جاءت اللام رابطة بينها وبين النتيجة لتقويتها وتمنحها الاستحواذ على أذهان المتلقين فضلاً عن ترتيبها للحجج برتب متتالية مكونة بذلك سلمية سببية تعمل على إقناع الموصين وإلزامهم الوصية وللعرب في البناء السلمي للوصايا فنية راقية أعملوها لإنتقاء ألفاظهم النحوية وألياتهم البلاغية ليُكونوا حُججاً تراتبية لايمكن للمتلقي رفضها لما تلقاه في نفسه من قبول وتسليم ويمثل ذلك ما جاء في وصية عليان^(٥٠) بن تبع بن زيد لابن أخيه قائلاً : ((وإني أوصيك يا بني بالكف عن المعصية ، والأحسان إلى الرعية ، فإذا نعمت فأنعم ، وإذا كويت داء العرِّ فأحسم))^(٥١) فالكف عن المعصية صلاح الفرد، لأنها إستقامة خلقية يستقيم بها السلوك والنفس ، والاحسان إلى الرعية حسن سريرة وطبائع تابع للصلاح والإنتعاف على الناس بدون إشعارهم بالذل كل هذه الحُجج مترابطة تتبعها حجة كنائية في معنى العدل وترك الظلم خدمة لنتيجة واحدة هي الاستقامة وحسن الخلق .

الخاتمة :

وفي ختام عملنا هذا توصلنا الى عدة نتائج سنوجزها كالآتي:

١. الحجاج نظرية حديثة إرتبطت بالدراسات النقدية الحديثة ، إلا أن جذورها تمتد في أعماق القديم لتنبعث في مسار الحديث .
٢. إن الخطابة والوصية بمفهوميهما فنان أدبيان نثريان حجاجيان هدفهما الإقناع والإستمالة على الرغم مما بينهما من إختلافات ليست ذات أثر في بعدهما الإقناعي.
٣. إن الجاهليين أتقنوا توظيف مفرداتهم اللغوية وفق منهجية سليمة تخدم نصوصهم الحجاجية .
٤. إن السُّلم الحجاجي بقوانينه وخصائصه يمنح النص تنامياً تصاعدياً يحكم بنائه اللغوي والحجاجي.
٥. إن السُّلم الحجاجي يصنع طاقة إقناعية يبثها داخل النص مستمدة من خصائصه في ترتيب أجزاء القول التي تتدرج في مخاطبة المتلقي وإستمالته .
٦. يعد السُّلم الحجاجي العمود الفقري الذي يقوم عليه الخطاب الإقناعي ، فلا يخلو منه أي كلام أدبي أو غير أدبي هدفه الإقناع والتأثير .

هوامش البحث :

- (١) المحكم والمحيط : مادة (حجج)
- (٢) لسان العرب : مادة (حجج) ٥٧٠/١
- (٣) ينظر : الحجاج اطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج (الخطابة الجديدة) : ٢٩٩
- (٤) ينظر : الحجاج في القرآن الكريم: ٢٩
- (٥) البلاغة والحجاج ضمن اهم نظريات الحجاج : ٣٩٤
- (٦) ينظر : في اصول الحوار وتجديد الكلام : ٦٥
- (٧) ينظر : استراتيجيات الخطاب : ٤٥٦
- (٨) ينظر : الحجاج في الشعر العربي القديم بنيته واساليبه : ٦٢
- (٩) ينظر : استراتيجيات الخطاب : ٦٢
- (١٠) ينظر : فن الخطابة : ٥-٦
- (١١) ينظر : تاريخ الخطابة العربية الى القرن الثاني الهجري : ١٨
- (١٢) ينظر : الخطابة في صدر الاسلام : ١-٣-٨٢
- (١٣) ينظر : أساليب النثر الفني باب الوصايا : ٥/١
- (١٤) ينظر : الأدب في عصر النبوة والراشدين : ١٩٩
- (١٥) ينظر : صورة المرأة في النثر الجاهلي : ٥٩
- (١٦) ينظر : وسائل الإقناع في خطبة طارق بن زياد : ١٨١
- (١٧) ينظر : اللغة والحجاج : ٢٦
- (١٨) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : ٢٧٧
- (١٩) ينظر : القيمة الحجاجية لإسلوب القصر في اللغة : ١٠٨
- (٢٠) ينظر : الحجاج في كتاب الامتاع والمؤانسة : ١٣٣
- (٢١) ينظر : اللغة والحجاج : ٣٠
- (٢٢) ينظر الحجاج في اللغة ضمن أهم نظريات الحجاج : ٣٦٣
- (٢٣) ينظر : اللسان والميزان : ٢٧٧ ، واللغة والحجاج : ٢٦
- (٢٤) ينظر : اللسان والميزان : ٢٧٨ ، اللغة والحجاج : ٢٨
- (٢٥) ينظر : اللغة والحجاج : ٢٨

٣. إستراتيجيات الخطاب ، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد ، ط١ ، ٢٠٠٤
٤. الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين - بيروت لبنان ، ط٥ ، ١٩٨٠
٥. البلاغة والحجاج ، محمد علي القارصي ، من خلال نظرية المسائلة لميشال ميار ضمن أهم نظريات الحجاج ، من التقاليد الغربية منذ أرسطو الى اليوم
إشراف حمودي صمود ، منشورات كلية الاداب ، الجمهورية التونسية ١٩٩٨.
٦. تاريخ الخطابة العربية الى القرن الثاني الهجري د- عبد الكريم ابراهيم دوحان الجنابي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة مصر ، ط١ ، ٢٠٠٥ م
٧. جمهرة خطب العرب، احمد زكي صفوت، مكتبة المصطفى الالكترونية . www.al-mostafa.com.
٨. جمهرة وصايا العرب ، محمد نايف الدليمي ، دار النضال بيروت- لبنان ، ط١ ، ١٩٩١.
٩. حجاج موسى عليه السلام في النص القراني ، رسالة ماجستير كهينة زموش ، جامعة مولود معمري ، تيزي -زوو، كلية الآداب
١٠. الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه ، سامية الدريدي ، عالم الكتب الحديث الاردن ، ط٢ ، ٢٠١١.
١١. الحجاج في القرآن الكريم، من خلال أهم خصائصه الاسلوبية ، عبدالله صوله ، دار الفارابي ، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠٧.
١٢. الحجاج في النص القراني في سورة الانبياء نموذجاً، رسالة ماجستير، ايمان درنوني ، جامعة لخضر باتته ، الجزائر.
١٣. الحجاج في كتاب الإمتاع والمؤانسة ، حسين بوبلوطه ، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتته ، الجزائر.
١٤. الحجاج في اللغة ، شكري المبخوت ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو الى اليوم ، فريق البلاغة والحجاج ، إشراف حمودي صمود ، جامعة الاداب والفنون ، تونس ، ١٩٩٨.
١٥. الخطابة في صدر الاسلام ، محمد طاهر درويش ، دار المعارف ، مصر ، ط١ د-ت .
١٦. صورة المرأة في النثر الجاهلي ، زهور علي عثمان دويكات ، رسالة ماجستير، جامعة النجاح ، نابلس، فلسطين، ٢٠١٣
١٧. الطباقي في العربية، د- رحيم جمعة الخزرجي واخرون ،جامعة المستنصرية ،كلية التربية الاساسية، مجلة كلية التربية الاساسية ، ع ٧٦ ، ٢٠١٢.
١٨. فن الخطابة ، احمد محمد الحوفي ، دار النهضة الفجالة ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٧٠.
١٩. في اصول الحوار وتجديد علم الكلام ، طه عبد الرحمن ، المغرب ، المركز الثقافي العربي، ط٣ ، ٢٠٠٧.
٢٠. القيمة الحجاجية لإسلوب القصر في اللغة العربية ،محمود طلحة ، جامعة الأغواط ، بحث منشور مجلة الخطاب ، العدد الثالث ، ٢٠٠٨.
٢١. اللغة والحجاج ، ابو بكر العزاوي ، مؤسسة الرحاب الحديثة ، ٢٠٠٩.
٢٢. لسان العرب ، ابن منظور ، قدم له عبدالله العلايلي ، تصنيف : يوسف خياط ، دار لسان العرب ، بيروت، لبنان ، د-ط ، د-ت.
٢٣. اللسان والميزان ، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ط١ ، ١٩٩٨.
٢٤. المحكم والمحيط الاعظم ، ابن سيده ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، لبنان ، دار الكتب العلمية .
٢٥. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ،جواد علي ،دار الساقى ، ط٤ ، ١٤٢٢ . ٢٠٠١ م .
٢٦. وسائل الإقناع في خطبة طارق بن زياد ،دراسة تحليلية في ضوء نظرية الحجاج ،رسالة ماجستير ،سليمة محفوظي ،جامعة الحاج لخضر باتته .

